الدراسات التاريخية

الشيخ محمد مهدي الآصفي والسيد الخميني
لقاء العلم والجهاد الديني في الحوزة العلمية النجفية

الاستاذ الدكتور
مقدام عبد الحسن الفياض
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

الباحثة
ميسون صالح عبد
جامعة الكوفة – كلية التربية للبنات

الشيخ محمد مهدي الآصفي والسيد الخميني لقاء العلم والجهاد الديني في الحوزة العلمية النجفية

Sheikh Muhammad Mahdi Al-Asifi and Seyyed Khomeini.. The meeting of science and religious jihad The Najafiyya Scientific Hawza

الاستاذ الدكتور
مقدام عبد الحسن الفياض
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات
miqdam.alfayyadh@uokufa.edu.iq

الباحثة
ميسون صالح عبد
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

prof. Dr. Muqdam Abdul Hussain Al-Fayadh
Mayson Salih Abid
College of Education for Girls- University of Kufa

الملخص

أنجبت الحوزة العلمية النجفية علماءً أفذاذ وقاماتً شامخة برزت في سماء العلم والمرجعية والجهاد، أسهمت بدورٍ فاعل في مسيرة نضال الأمة الإسلامية ووقوفها في وجه الاستكبار والطغيان، ونهوضها العلمي والحضاري بين الأمم . يهتم هذا البحث بدراسة العلاقات الشخصية والفكرية والمؤسساتية بين الإمام الخميني والشيخ محمد مهدي الآصفي أحد أعمدة الحركة الاسلامية والمناضلين من أجل إعلاء كلمة الله في تاريخ العراق الحديث، والذي كان في مقدمة المؤيدين للجمهورية الاسلامية و(ثورتها) ومبادئها ونصيراً لأفكارها، داعياً الى ضرورة نشرها خارج إيران، سائراً على نهج الامام الخميني ومبدأ ولاية الفقيه ومن أوائل المؤمنين به بحماس شديد. تلمذ على يديه الكريمتين في النجف الأشرف، وقاد مجموعة من المناضلين ورجال الدين وقيادات حزب الدعوة إلى فرنسا لزيارة الامام الخميني عام ١٩٧٩ وإعلان تأييدهم الكامل أمام العالم لمساعيه للثورة ضد الطاغية الشاه محمد رضا بهلوي. كما كان الآصفي من الأوائل الذين ذهبوا إلى إيران في العام ١٩٧٩ لكي يلاقي الامام، ويعلن التأييد المطلق له ولثورته .

تنقسم الدراسة الى مبحثين، تناول الأول منهما لمحات موجزة عن حياة الشيخ الآصفي ونشأته، فيما ركّز الثاني والأهم على صلب الموضوع ألا وهو دراسة العلاقات بين الآصفي والخميني رحمهما الله تعالى منذ أن التقى الاثنان في النجف الأشرف حينما قضى الخميني سنوات عدة يدرّس في الحوزة العلمية هناك، وتتلمذ على يديه الكريمتين الشيخ الآصفي ونهل من علمه الشيء الكثير. وأشرنا في البحث الى عددٍ من النتاجات الفكرية التي سطرها يراع الشيخ الآصفي لدعم الجمهورية الاسلامية الايرانية والانتصار لمفاهيم السيد الخميني، لا سيما المسائل التي كانت مثار جدل من أعداء الثورة والكثير من المحبِّطين هنا وهناك .

Abstract

The Najafiyyah seminary gave birth to outstanding scholars and statures who emerged in the skies of science, reference and jihad. They played an active role in the course of the struggle of the Islamic nation and its standing in the face of arrogance and tyranny, and its scientific and civilized advancement among nations. This research is concerned with studying the personal and intellectual relations between Imam Khomeini and Sheikh Muhammad Mahdi Al-Asifi, the most prominent person in the Islamic movement and militants in the modern history of Iraq. Wilayat al-Faqih very enthusiastically. He studied with him in Najaf, and he led a group of militants, clerics and leaders of the Dawa Party to France to visit Imam Khomeini in 1979 and declare their full support before the world for his efforts to revolution against the tyrant Shah Muhammad Reza Pahlavi. Al-Asifi was also one of the first to go to Iran in 1979 in order to meet the Imam and declare absolute support for him and his revolution.

The study is divided into two sections, the first of which dealt with brief glimpses of Sheikh Al-Asifi's life and upbringing, while the second and most importantly focused on the core issue, which is the study of the relations between Al-Asifi and Khomeini since the two met in Najaf when Khomeini spent several years teaching in the seminary there, and was a student of His hands Sheikh Asifi and Nhl taught him a lot. In the research, we referred to a number of intellectual products written by Sheikh Al-Asifi in support of the Islamic Republic of Iran and victory for the concepts of Mr. Khomeini, especially issues that were the subject of controversy from the opponents of the revolution here and there.

مقدمة

أنجبت الحوزة العلمية النجفية علماءً أفذاذ وقاماتً شامخة برزت في سماء العلم والمرجعية والجهاد، أسهمت بدورٍ فاعل في مسيرة نضال الأمة الإسلامية ووقوفها في وجه الظلم والطغيان، ونهوضها العلمي والحضاري بين الأمم. يهتم هذا البحث بدراسة العلاقات الشخصية والفكرية والمؤسساتية بين السيد الخميني والشيخ محمد مهدي الآصفي أحد أعمدة الحركة الاسلامية والمناضلين من أجل إعلاء كلمة الله في تاريخ العراق الحديث، والذي كان في مقدمة المؤيدين للجمهورية الاسلامية و(ثورتها) ومبادئها ونصيراً لأفكارها، داعياً الى ضرورة نشرها خارج إيران، سائراً على نهج السيد الخميني ومبدأ ولاية الفقيه ومن أوائل المؤمنين به بحماس شديد. تلمذ على يديه الكريمتين في النجف الأشرف، وقاد مجموعة من المناضلين ورجال الدين وقيادات حزب الدعوة إلى فرنسا لزيارة السيد الخميني عام ١٩٧٩ وإعلان تأييدهم الكامل أمام العالم لمساعيه للثورة ضد الشاه محمد رضا بهلوي (١٩٤١-١٩٧٩). كما كان الآصفي من الأوائل الذين ذهبوا إلى إيران في العام ١٩٧٩ لكي يلاقي الامام، ويعلن التأييد المطلق له ولثورته .

تنقسم الدراسة الى مبحثين، تناول الأول منهما لمحات موجزة عن حياة الشيخ الآصفي ونشأته، فيما ركّز الثاني وهو الأهم والأكثر سعةً على صلب الموضوع، ألا وهو دراسة العلاقات بين الآصفي والخميني، منذ أن التقى الاثنان في النجف الأشرف حينما قضى الخميني سنوات عدة يدرّس في الحوزة العلمية هناك، وتتلمذ على يديه الشيخ الآصفي ونهل من علمه الشيء الكثير. وأشرنا في البحث الى عددٍ من النتاجات الفكرية التي سطرها يراع الشيخ الآصفي لدعم الجمهورية الاسلامية الايرانية والانتصار لمفاهيم السيد الخميني، لا سيما المسائل التي كانت مثار جدل من أعداء الثورة والكثير من المحبِّطين هنا وهناك. علماً أن البحث يعرض آراء الآصفي ويقدمها للدرس والتحليل ولا يتبنى أمراً خارج إطار البحث العلمي

أولاً: موجز عن حياة الشيخ الآصفي ونشأته

هو الشيخ محمد مهدي بن علي محمد بن صادق البروجردي الآصفي، انحدر من عائلة متدينة معروفة، ولد في النجف الأشرف عام (١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م)، وبها نشأ وتلقى تعليمه الاولي، ودرس مبادئ العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية النجفية العريقة ([1])، وتتلمذ في دراسته الدينية على أيدي كبار المراجع كآية الله السيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠) وآية الله الشيخ مرتضى آل ياسين (١٨٩٤-١٩٧٨) وآية الله السيد أبو القاسم الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢) ([2])، والسيد الخميني ([3]) في الفقه والأصول،

حتى مكّنه تألقه العلمي من الحصول على درجة الاجتهاد في سن مبكرة وأصبح أحد المفكرين الإسلاميين المعاصرين.

كان جده من مراجع الدين وأبوه من مجتهدي النجف الأشرف، واتجه ايضاً نحو الدراسة الأكاديمية، فحصل على البكالوريوس من كلية الفقه في دورتها الأولى ١٩٦٠، وحصل على الماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٦٨، وعمل أستاذا لمادة لفلسفة لأكثر من ١٥ سنة في كلية أصول الدين ببغداد وكلية الفقه في النجف الأشرف (٤).

وواصل اهتمامه بالعلوم الشرعية (٥)، ووضع دراسات نقدية بنّاءة هدف منها معالجة كتب الدراسة في حوزة النجف في اواسط القرن العشرين، وهي مناهج الكثير منها قديم لا يلائم حاجات العصر، ويرى الشيخ الآصفي ضرورة توجيه الرأي العام إلى عقم بعض هذه المناهج وعدم صلاحيتها في أن تكون كتب مقدرة لآلاف الطلاب. ويقسم الشيخ الآصفي ملاحظاته التفصيلية عن المناهج الدراسية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلى قسمين : الأول يضم ملاحظات شكلية تتعلق بطريقة إخراج الكتاب وتشمل كثرة الأخطاء الطباعية ورداءة نوع الورق وعدم وجود فهارس منفصلة وقطع الكتاب، إذ غالباً ما يكون من القطع الكبير(٦). والقسم الثاني: يضم الملاحظات الجوهرية التي تخص مضامين الكتب، وهي كذلك تتوزع على عدة نقاط مثل إن هذه الكتب قد كتبت لبيئات خاصة وأزمنة معينة وانها تعرض لمباحث ليس لها علاقة بالموضوع الرئيس للكتاب، أو تعبر عن وجهات نظر أصحابها ولم تؤلف لأجل أن تكون مناهج دراسية. كما ان الانغلاق واضح على قراءة هذه الكتب وكثرة التشويش والإرباك فيها (٧).

وبعد ان بلغ الآصفي درجة عالية من النضوج الفكري وبعد ان اندلعت ثور ١٤ تموز ١٩٥٨ وتعرض العراق الى تيارات فكريبة غريبة عن بيئته وحضارته، أخذ يلقي الدروس الحوزوية والمحاضرات الاسبوعية بطريقة غير تقليدية، وانما سار في طريق المجددين الذين يؤكدون على ضرورة عرض الإسلام بوصفه عقيدة ونظام لا مجرد طقوس عبادية، لمواجهة التيارات المنحرفة (٨).

وانخرط عدد من نشطاء الحوزة العلمية النجفية وبمباركة المرجعية العليا في مشاورات مكثفة هدفها حشد الجهد الديني للوقوف بوجه الهجمة الفكرية للشيوعية، وقد تمخضت تلك الاجتماعات التي عقدت في النجف الأشرف في النهاية عن تشكيل جماعة العلماء (٩)، التي باشرت على الرغم من قسوة الأحداث، وعدم توفر الخبرة السياسية الكافية، وتخلف الوعي الإسلامي السياسي في الأمة، عملها من أجل إرساء قواعد هذا الخط الأصيل، وذلك من خلال بعض المنشورات والاحتفالات الجماهيرية، والاتصالات

ببعض قطاعات الشباب، وإصدارها لمجلة الأضواء الإسلامية ودعمها في إصدار مجلة (الإيمان) النجفية، التي كانت تشرف عليها لجنة توجيهية مكونة من شباب العلماء، كان لها اتصال وثيق بالسيد الشهيد محمد باقر الصدر. وقد بادر ما يُسمى بـ (تجمع أنصار العلماء) أو (أنصار المرجعية) من الحوزويين الشباب ومنهم الشيخ الآصفي الى القيام بمختلف النشاطات الإعلامية والتبليغية ([١٠]).

كما ارتبط الشيخ الآصفي بحزب الدعوة الإسلامية منذ السنوات الاولى لتأسيسه وتحديداً في عام ١٩٦٢([١١])، وأصبح من الرجال المهمين في تأريخ ذلك الحزب ([١٢])، وأحد أكبر قادته ([١٣])، وما لبث أن أصبح من كوادره المتقدمة ومسؤولاً عن تنظيم الحوزة العلمية فيه، عرفه أقرانه آنذاك بأنه رجل عامل مخلص يحمل هموم الإسلام ويعمل في سبيل رفع كلمة الله بكل إخلاص وطهارة ([١٤]).

وبعد انقلاب ١٩٦٨ شعرت سلطة البعث بضرورة ضرب الحوزة العلمية الشريفة وعدم التهاون معها، لذلك وضعت ضمن أولويات برنامجها الأمني السياسي إنهاء دور التحرك الإسلامي في العراق، لا سيما أن لديها معلومات مؤكدة عن نشاط حركي واسع تديره شخصيات مدعومة من المرجعية الدينية ومقربة لها ([١٥]). ومن المؤكد أن في مقدمتهم الشيخ محمد مهدي الآصفي، الذي كان له نشاط طويل في الحركة الإسلامية العراقية. ففي ١٩٦٩م بدأت السلطة البعثية تتابع نشاطاته وتحركاته، وتحولت المتابعة الى ملاحقة دائبة فاضطر الى التخفي، وبعد صدور آخر إلقاء قبض عليه ([١٦]) أرسله الإمام السيد محسن الحكيم إلى الكويت ليكون وكيلاً عنه في مسجد النقي ([١٧]).

وعاش الآصفي بعضاً من أوائل عقد السبعينات في الكويت، وتحديداً منذ عام ١٩٧٢، وبدأ نشاطه في تأييد حركة السيد الخميني وجمعه الأموال له والترويج لقيادته المستقبلية لإيران ودعوة المتظاهرين في داخلها لإسقاط النظام ([١٨])، مما دفع الى اتهامه هناك مع رفاقه من خلايا حزب الدعوة بملابسات التفجيرات ومحاولة اغتيال أمير الكويت، مما أضرّ بالعراقيين المقيمين هناك. واضطر للانتقال الى قم عام ١٩٧٤ نتيجة مطاردة الحكومة العراقية المستمرة للإسلاميين في كل الأنحاء القريبة والبعيدة، وظروف العمل الإسلامي العسيرة، إلا أن سلطات الشاه محمد رضا بهلوي ممثلة بالسافاك (الأمن الإيراني) بدأت بملاحقته أيضاً، وحاولت إلقاء القبض عليه، ثم احتجزته وتحفظت على جواز سفره، نظراً لعلاقاته مع المقربين من السيد الخميني في إيران واتصالاته بهم، فلم يلبث أن قفل راجعاً إلى الكويت متخفياً واستقر فيها ثانية، حيث ساهم في قيادة العمل الإسلامي من هناك، بعد أن اختير عضواً في القيادة العامة لحزب الدعوة الإسلامية ([١٩]) وفي عام ١٩٧٩ تولى

لجنة البصرة ([٢٠]). عاد الى العراق بعد سقوط النظام السابق عام ٢٠٠٣، واستقر في النجف الأشرف، ليقوم فيها بتفعيل الحركة العلمية فيها، وساعياً لتطوير مهارات طلبة الحوزة العلمية وراعياً لعددٍ من المشاريع الخيرية، حتى وفاته في طهران، ونُقل الى النجف الأشرف ليدفن هناك بتاريخ ٤ حزيران ٢٠١٥.

ترك العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي عدداً من المؤلفات القيمة، منها: مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها، وارث الأنبياء في الحسين ع وثورته([٢١])، من حديث الدعوة والدعاة، الامامة في التشريع الاسلامي، دور الدين في حياة الانسان، ملكية الأرض في الاسلام، الحاكم في عصر الغيبة، وعي القرآن، بحوث اسلامية مختارة، المدخل الى الإمامة، محاضرات في التفسير، خط الإمام ([٢٢]).

ثانياً : علاقات الشيخ الآصفي بالسيد الخميني

قاد السيد روح الله الخميني حركة وطنية واسعة في إيران ضد سلطة الشاه محمد رضا بهلوي (١٩٤١-١٩٧٩) بسبب ما رآه من استهانته بالدستور ومخالفته للشريعة الاسلامية وتحالفه مع القوى الأجنبية، مما أدى الى اعتقاله وسجنه أكثر من مرة، وتم نفيه الى تركيا ٣ تشرين الثاني ١٩٦٤، ثم أبعدته الحكومة التركية الى العراق، فوصله في ٥ تشرين الأول ١٩٦٥([٢٣]).

ومنذ الأيام الأولى لتواجد آية الخميني في الكاظمية ظهر اسم الشيخ الآصفي خلال تلك الأحداث، والذي أصبح أحد الدعاة الحركيين لحزب الدعوة آنذاك والناطق الرسمي بلسانه، فقد كان في طليعة المستقبلين، إذ حالما سمع بخبر وصوله حتى قاد وفداً ضمّ عدداً من طلبة الحوزة العلمية الى الفندق الذي ينزل فيه، وأعلن عن ترحيبه واستعداده لدعمه والاستماع لتوجيهاته، وتكررت الصورة نفسها حين وصوله النجف الأشرف في ١٥ من الشهر ذاته ([٢٤]). وحينما حاصرت حكومة الشاه البهلوي أتباع السيد الخميني بعد هجرته وأصدرت أحكاماً بالإعدام على عددٍ منهم أُوفد الآصفي مرة أخرى الى بغداد من قبل السيد محسن الحكيم الى المصلح الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني (١٩٨٨٣-١٩٦٧) والذي كانت له كلمة مؤثرة على الشاه لغرض مخاطبته وإيقاف تنفيذ الحكم، وقد ساهمت هذه الجهود في ايقاف هذا الحكم بحقهم ([٢٥]).

كان الآصفي من المؤيدين للإمام الخميني في مختلف مراحل النضال قبل الثورة في ايران وأثنائها وبعدها، فخلال وجوده في النجف الأشرف كان الشيخ محمد مهدي الآصفي حريصاً على التواصل مع السيد الخميني من خلال القيام بزيارات مستمرة لمجلسه الذي ينعقد في داره الواقعة في محلة الحويش قرب المرقد العلوي المطهّر، أو عن طريق العلاقة الأخوية

والعلمية مع ولده السيد مصطفى الخميني قبل استشهاده عام ١٩٧٥، أو من خلال حضوره المنتظم لدروسه الفقهية والأصولية التي كان الإمام يلقيها على طلبته في جامع الشيخ الانصاري أو ما يُسمى محلياً بـ(جامع التُرك) في المحلة المذكورة. ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الآصفي قد كتب تقريرات أستاذه السيد الخميني من دروسه خلال تلك السنتين اللتين تلمذ فيهما على يديه، وعرضها عليه فاهتم أستاذه بها وعلّق عليها وكتب حواشي وملاحظات رائعة عليها.

نهل الآصفي علومه الدينية ومعارفه من قمتين شامختين في تاريخ المرجعية العليا، هما السيد أبو القاسم الخوئي (المرجع الأعلى) والسيد روح الله الخميني، فاستقى من كليهما، رغم التمايز في الرؤى والمتبنيات لكلا المدرستين الدينيتين الفقهيتين، ومن الجدير بالذكر أن اختلافاً فقهياً كان محتدمٌ بين مسارين فكريين فيما يتعلق بنظرية (ولاية الفقيه)، أحدهما يقوده زعيم الطائفة الشيعية الإثنى عشرية في العالم آنذاك السيد الخوئي، وهو الاتجاه السائد والمتفوق تاريخياً، القاضي أن وظيفة الفقهاء تتركز على إرشاد الأمة ونصحها والحفاظ على عقيدتها ومراقبة سلوك السلطة والمجتمع على حدٍ سواء، أما من الناحية السياسية، فالتقييد موجود بعدم تسلم المناصب السياسية وإقامة الدولة الدينية. أما الرأي الآخر الذي عليه السيد الخميني، فيقول أن للفقيه ولاية عامة على الناس وله صلاحيات مطلقة في قيادة الدولة ([٢٦]).

وقد لاحظ الشيخ محمد مهدي الآصفي أن السيد الخميني خلال وجوده في النجف الأشرف قد بادر إبتداءً من ٢١ كانون الثاني ١٩٧٠ إلى طرق بابٍ في غاية الأهمية من أبواب الفقه الإسلامي على طاولة البحث والدرس، وهو باب الحكومة الإسلامية أو(ولاية الفقيه) مؤكّداً في مُحاضراته التي ألقاها على طلبة الدراسات العُليا (البحث الخارج) في الحوزة العلمية النجفية على مسألة ضرورة تأسيس الحكومة الإسلامية وبناء أجهزتها، ووجوب رئاسة عُلماء الدين للأمة وللدولة ودعاهم إلى الجهاد ومُقارَعَة الحكومات الفاسدة والظالمة، وهي أوّل مرّة يَتناوَل فيها مرجع كبير هذه المسألة السياسية الفقهية الحساسة ويُدرّسها بكل وضوح وتفصيل في النجف الأشرف وكان لبَحثِهِ هذا دَويّ في أوساط الحوزة العلمية النجفيّة ([٢٧]). وزيادة في ارتباط الآصفي بأستاذه السيد الخميني فقد قام بكتابة تقريرات من دروسه في الباب المذكور، وأخرجه بعنوان (الحكم الإسلامي من حيث النظرية والتطبيق تقريراً لبحث ولاية الفقيه للإمام الخميني). وما زال من ضمن مؤلفاته المخطوطة ([٢٨]).

وكان السيد الخميني يُلقي دروسه حول الحكومة الإسلامية باللغة الفارسيّة رغم قُدرَتِهِ على العربية، ذلك أن دروسهُ كانت تُسجّل على أجهزة

الكاسيت لتوزّع على الطلبة الإيرانيين، ثُم الاستفادة مِنها في الحوزات العلمية في إيران. ونُظمت هذه الدروس والمحاضرات في ست كراسات، ثم تمّ جمعها في كتاب واحد، صَدَر تحت عنوان (ولاية الفقيه) أو (الحكومة الإسلامية). وقد نُشر هذا الكتاب في إيران والعراق ولُبنان، ووُزّع في موسم الحج أيضاً وكان لهُ أثرٌ كبير في تجديد روح الجهاد والمقاومة. ومن الجدير بالذكر أن عن تلك الموضوعات يخالف الى حدٍ كبير الخط العام للحوزة العلمية النجفية، ويتصادم وتوجهات معظم علماء المرجعية آنذاك ([٢٩]).

أما الحركة الإسلامية ممثلة بحزب الدعوة، فإنها عَبّرت عن تفاعُلاتها مع آراء السيّد الخميني، وتبنى الشيخ مُحمّد مهدي الآصفي مُراجعة الترجمة العربية لتلك المحاضرات وتصحيحها وطبعها أكثر من مرة، بعد أن دأب على حضور دروس البحث الخارج (الدراسات العليا) للسيد الخميني طوال سنتين، بل أن بعض الطلبة ممن يُجيدون الفارسية كان يُترجمها فوراً إلى العربية كالسيد الشهيد مُحمّد مُحمّد صادق الصدر([٣٠]) ونجد في كتاب: (حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق) الكثير من صور ذلك التفاعل([٣١]).

ولعل ما يُميّز هذه المحاضرات في تأثيرها العَمَلي على ذِهنيّة جيل الشباب من طلاّب الحوزة العلمية في النجف الأشرف لا سيما الشيخ الآصفي، أن الفقيه الذي ألقاها لَم ينطَلِق من فِكرٍ نَظَريّ تَجريديّ، بل إنطلق مِن تَجرُبَة عمليّة، عانى في أحداثها كُل الأخطار التي كانت تتحدّى حياته، حتى إنتهى به الأمر إلى التّشريد من وَطَنِه، مما جعل القضيّة تتخذ لَدَيه جانب الفكرة القُدوَة ([٣٢]).

وفي المدة الواقعة بين عامي ١٩٧٧-١٩٨٠ أخذت أجهزة البعث القمعية تمارس أبشع الأعمال الإرهابية بحق العناصر الوطنية، من إسلاميين، وقوميين، وديمقراطيين، وملأت السجون بأعداد كبيرة منهم، ومارست أقسى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي بحقهم، وقضى العديد منهم تحت التعذيب. ولاقت المرجعية الدينية الشريفة وحوزتها الدينية تعسفاً مقيتاً وظلماً فاحشاً، شمل الاستمرار في تسفير العديد من علماء الدين والتضييق عليهم، واعتقال بعض خطباء المنبر الحسيني وتصفيتهم جسدياً، والرقابة على المطبوعات، وتعطيل بعض الجمعيات العلمية والأدبية، حتى اضطر السيد الخميني الى مغادرة النجف الأشرف والعراق، إذ وضعته السلطة البعثية أمام خيارين، فإما أن يتخلى عن دعم التحرك الاسلامي أو النفي الى بلدٍ آخر، ليواصل قيادة ثورته من الخارج ([٣٣]).

وقد خشيت الحكومة من امتداد تأثير الثورة الإيرانية للعراق، لذلك جابهت مؤيديها بالعنف والقسوة، وأقدمت على ارتكاب جريمتها النكراء بإعدام أكثر المراجع انتصاراً لها، وهو السيد

محمد باقر الصدر وشقيقته العلوية المجاهدة (آمنة الصدر) ([٣٤]) يوم ٨ نيسان ١٩٨٠ ([٣٥]).
وحينما قاد السيد الخميني للثورة الاسلامية الايرانية من منفاه في فرنسا ترأس الشيخ الآصفي مجموعة من أعضاء حزب الدعوة إلى باريس لزيارة الخميني عام ١٩٧٩م، لإعلان تأييدهم الكامل له أمام العالم، ووضع إمكاناتهم تحت تصرف ثورته الإسلامية. وفي هذا الصدد يعبر أحد قيادات حزب الدعوة عما دار في أروقة الاجتماع بالقول: "إهتمت حركتنا (الدعوة الإسلامية) بتقديم ما تستطيعه من الخطط العملية لكيفية تشكيل الدولة الإسلامية وبناء مرافق المجتمع الإسلامي في ايران وقد قدمت بذلك مذكرة الى السيد الخميني حينما كان في باريس حول هذا الموضوع، كما قدمت مشروعاً متكاملاً بهذا الصدد بعد انتصار الثورة..." ([٣٦])
وبعد انتصار الثورة الإسلامية هاجر إلى إيران في مطلع الثمانينات معتبراً إياها الداعم الأكبر لنشاطاته، وترقى موقعه في حزب الدعوة، ثم أصبح فقيهاً له وناطقاً بأسم الحزب، وبرز كأحد أكبر زعماء حزب الدعوة الإسلامية وبخاصة بعد إعدام الشيخ الشهيد عارف البصري عام ١٩٧٧ والسيد الشهيد محمد باقر الصدر في ٨ نيسان ١٩٨٠، وأصبح أحد أبرز الشخصيات الأربعة الذي تحكمت بمسيرة الحزب، إلى جانب كاظم الحائري، ومرتضى العسكري، وعلى الكوراني، ثم خرج منه. وأراد نقل قيادة حزب الدعوة إلى إيران لأنه رأى أن السيد الخميني يوفر حاضنة مثالية للحركة الاسلامية ومساندة لا مثيل لها لجهادها ضد الطغمة البعثية في العراق، ودخل الآصفي في المراحل الأولى لتأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ([٣٧])، كما شغل منصب نائب رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ([٣٨]). وترأس الآصفي قيادات حزب الدعوة التي التقت الخميني بتاريخ ٦ تشرين الاول١٩٨١ واثناء اللقاء طرح اعتزازه بالثورة الإسلامية في ايران، وتحدث عن الاوضاع في العراق، وبعد انتهاء اللقاء أجرى لقاء آخر مع السيد احمد الخميني ناقش فيه العلاقة المتوترة بين الدعوة وأجهزة الدولة وانقطاع المساعدات المقدمة للحزب ([٣٩]).
وإذا ما نظرنا الى البناء الفقهي والعقيدي والسياسي والتنظيمي لحزب الدعوة، نجد ان له علاقة وطيدة بفكر وآراء الشيخ محمد مهدي الآصفي الذي سُميت مرحلة قيادته بـ(مرحلة تبني نظرية ولاية الفقيه) إذ كان من الأوائل المؤمنين بمنهج ومبدأ ولاية الفقيه التي جدّدها السيد الخميني، ودافع عنها وطرحها في كتبه ومناظراته الفقهية، فتأثر بها الآصفي وتحول الى أحد المروجين لها بحماس شديد، فهو يجعل للفقيه ولاية من الإمام المهدي الغائب عليه السلام وممثلاً له. وإتجه الآصفي الى تبنيها أيضاً في تدريسه الحوزوي في قم المقدسة التي شهدت نشاطاً منقطع النظير جراء هجرة الكثير

من العلماء والمفكرين وطلبة العلوم الدينية وتهجيرهم من النجف الأشرف إليها، فأخذ بإلقاء دروسه في البحث الخارج في الحوزة العلمية في قم، وافتتح مؤسسة الإمام الباقر الخيرية عام ١٩٨٠ ([٤٠]). ووصل الأمر الى رغبته بربط حزب الدعوة بقيادة السيد الخميني مباشرة في ظل قناعته بأن حكم الاخير نافذ على جميع المسلمين باعتباره ولي أمرهم، وحينما لم يأت الرد الذي يطمح إليه، تحرك من جديد عام ١٩٨٧ باتجاه مطالبته الحزب بالذوبان في شخص الولي الفقيه، مما ادى الى حصول حالة من التوتر بين القيادة العامة للحزب والشيخ الآصفي. ولم يفقد الشيخ الأمل بربط الحزب بالسيد الخميني بوصفه الولي الفقيه، فأجرى لقاءً مع أحمد الخميني عام ١٩٨٨، وطرح عليه فكرة تعيين عضو ارتباط او ممثل للخميني في حزب الدعوة فكان جواب ولده احمد الخميني " شيخنا الآصفي انت تعلم ان السيد الخميني لم يعين ممثلا له في الحزب الجمهوري (جمهوري اسلامي) وهو حزب ايراني وله دوره فكيف يعين له ممثل في حزب الدعوة" ([٤١]).

عاش الشيخ محمد مهدي الآصفي حقبة جديدة من حياته في إيران، اتصفت بدايتها بخلافات ثقافية وحملات توجيه فكرية عدائية للثورة الاسلامية التي انتصرت على الرغم من كل العقبات التي وضعتها بعض القوى الدولية والإقليمية في طريقها، فكان الشيخ الآصفي كاتباً شجاعاً ذائداً عن الثورة الاسلامية وعن مفجرها السيد الخميني، وظهر نشاطه وتصديه واضحاً على سيرته ومؤلفاته ففي كتابه (دروس من الثورة الاسلامية) يقول عن السيد الخميني وثورته : " وإذا كانت الأيام حبستني أن أبذل في الثورة الإسلامية المباركة في إيران قطرات من الدم، فها هي قطرات من الحبر، ممزوجة بقطرات من الدمع، أهديها إلى نائب الإمام الحجة (عج)، وخليفته، وقائد هذه الأمة ورائدها (الخميني) حفظه الله، الذي أعز الله به الإسلام وأعلى به كلمته، وانتقم به من الظالمين الذين عاثوا في الأرض، فسادا..." ([٤٢])

ولم تخل ثنايا كتبه من الدفاع الدؤوب عن تلك الثورة التي سمّاها بـ "المباركة" وعن عقيدتها وقائدها، فكأنما جند نفسه لمهمة الذود او كأن الدفاع غايته المنشودة. وفي ذلك يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي ما نصه : " أن الثورة الإسلامية : تعتبر واحدة من أكبر أحداث التأريخ الإنساني المعاصر، ولما كانت هذه الثورة بداية لمرحلة جديدة في التأريخ الإسلامي المعاصر وإيذاناً باتساع رقعة الثورة الإسلامية في العالم واحتدام المواجهة بين الإسلام والكفر كان حريّاً برجلا الفكر والحركة الإسلامية أن يعطوا هذه الثورة الكثير من اهتمامهم وعنايتهم وأفكارهم" ([٤٣]).

وانطلاقاً من هذه الإحساس قام بإلقاء مجموعة من المحاضرات عن الثورة الإسلامية في إيران

في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية، ومنها :

١- في علاقة الثورة بالله، وهي محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم في لندن عام ١٩٧٩([٤٤]).

٢- الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، وهي مجموعة من ثلاث محاضرات ألقيت في رابطة الشباب المسلم بلندن عام ١٩٨٣.

٣- خط الإمام: يقصد به السيد روح الله الخميني، وهو بحث ألقاه الآصفي في مؤتمر الكوادر الإسلامية العراقية الذي انعقد في طهران في كانون الأول ١٩٨٤، ثم أُعيد نشره من قبل مركز الإمام الخميني الثقافي تعميماً لفائدته، كونه يكشف عن جوانب من توجهات السيد الخميني وتاريخ جهاده ومعالمه وأركانه وقيمته ومصادره وإنجازاته، ويشرح بشكل موجز تلك الخصوصيات التي أشار إليها الإمام في كلماته المتقدمة ([٤٥]). ويقول الآصفي إن مصطلح "خط الإمام" ظهر لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية، من قبل الطلبة المسلمين، الذين سموا أنفسهم بـ "الطلبة السائرين على خط الإمام" ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح في قاموس الثورة، إلاّ أن مضمون خط الإمام، والمحتوى السياسي والفكري لهذا المصطلح كان موجوداً قبل ذلك ([٤٦]).

وكان يبيّن للشباب في المحافل العلمية مسؤوليتهم تجاه الثورة الإسلامية، وهل هم مسؤولون ولماذا؟ وما هو حجم هذه المسؤولية ؟ وما هي الوسائل الممكنة لتنفيذ هذه المسؤولية، وأدائها؟، هذه هي الأسئلة التي طرحها وأجاب عنها بشكل وافٍ وبعناية مركزة ([٤٧]).

ومن هنا نرى ان الكثير من كتابات الشيخ محمد مهدي الآصفي قد انصبت على ردّ الشبهات الموجهة الى الثورة الاسلامية والطعن بقائده الخميني، حتى اصبحت مؤلفاته سندا لمن يريد دراسة الافكار الثورية الاسلامية. وقد ساعدت ثقافته الدينية واللغوية وإلمامه الواسع بنواحي العمل السياسي على التصدي والمواجهة. إذ نبّه الى أهمية العامل الدولي والظروف العالمية التي أحاطت بالثورة فالكتلة الشرقية كانت تشهد بارتياح انفلات إيران من قبضة الاستعمار الأميركي، من دون أن يكلف ذلك الاتحاد السوفيتي شيئاً، وكانت السياسة الأميركية – في نفس الوقت – تعمل على أن لا تدفع إيران الثورة نحو الاتحاد السوفيتي، وأوضح الآصفي أنه من بين هذه التصورات والتقديرات السياسية السوفيتية و الأمريكية، استطاعت الثورة الإسلامية أن تمر بسلام ([٤٨]).

وناقش موضوع الحرب العراقية الايرانية، رادّاً على الذين يؤكدون أن سبب الحرب والبادئ بها هي إيران والخميني ، فقد أكد بل جزم أن أميركا اعطت الضوء الأخضر للنظام العراقي في

إشعال نيران تلك الحرب، ولا شك أن أميركا وحلفاءها وعملاءها حسبما ذهب إليه في المنطقة قد دعموا نظام صدام حسين باستمرار في حربه مع النظام الإسلامي في إيران، ولا شك أنها كانت قلقة كل القلق من تصاعد الحرب واستمرارها وامتداد لهيبها إلى آبار النفط في المنطقة، وأنها لم تسعى لايجاد حل لإنهائها الا بعد مرور قرابة ثلاث سنوات من إشتعالها، ولو أنها كانت تجد بديلاً لصدام حاكم العراق، لما توانت في إسقاطه لغرض إنهاء الحرب. إلا أن أميركا رأت أن الحل الإسلامي هو الحل الوحيد الذي تتجه إليه الأمة، وتخاف أن يفلت الأمر من قبضتها في العراق، كما فلت الأمر من قبضتها في إيران من قبل، وإذا سقط النظام في العراق فأن جمهورية اسلامية جديدة سوف تقوم في العراق. هذا بحسب تحليل الآصفي ([٤٩]).

كذلك لا ننسى المشاركة الفعلية لأعضاء "حزب الدعوة" في الحرب الى جانب الجمهورية الإيراني ضد العراق، وتنظيمهم عمليات عسكرية أوقعت خسائر كبيرة. حيث شكل (حزب الدعوة) مجاميع قتالية في إيران عرفت حينها بـ(قوات الصدر)، أمر السيد الخميني بإعداد معسكر خاص لتدريبهم جنوب الأحواز لسهولة الدخول والخروج إلى العراق لتنفيذ المهمات.

كما وجّه الآصفي كلامه الى المسلمين جميعاً، وأوضح ما يجب عليهم من موقف تجاه الحرب فبحسب رأيه ليس للمسلم في مثل هذه المواقف أن يرسل عواطفه حيث يشاء، وكما يرغب، وكيفما تميل إليه نفسه، وإنما يجب عليه أن يخضع عواطفه تجاههما لضوابط الشريعة، فيحاول أن يصلح بين الجارين المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإن بغى أحدهما على الأخر، وقف مع المعتدى عليه ضد الفئة الباغية، بحزم وقوة، ومن دون أن يميل مع ميوله وتعلقاته النفسية، ولا يحسب حساباً لقرب أحدهما منه أو بعده ولا يرق ولا يلين، وإذا لم ترتدع الفئة الظالمة عن بغيها وغيها أعلن عليها الحرب وقاتلها إلى جنب الفئة المعتدى عليها ([٥٠]) {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات : ٩]

وتتبع الآصفي المسيرة التاريخية للثورة الاسلامية قبل اندلاعها، وفي ذلك شواهد على علميته وثقافته ومساندته للسيد الخميني، فوقف في محاولة لتصحيح المفاهيم الخاطئة حسب رأيه التي دونتها المصادر او روجتها بعض الاوساط المعادية للاسلام متصدياً للشبهات التي اثيرت حول الثورة، ومنها البحوث حول عدم قدرة الاسلام ان يكون اساسا لدولة عصرية حديثة. وقد تصدى لها الشيخ محمد مهدي الآصفي بعقلانية تامة من بالأدلة والبراهين والمصادر. فقد درس الشيخ الثورة الإسلامية بوصفها تراكماً

من الفعل والانفعال قائلاً: "عندما نسبر – بدقة – عمق هذه الثورة، ونتحرى جذورها وأسبابها، نجد أن هذه الثورة كانت حصيلة تراكم من العمل والفعل الإيجابي المستمر، وتراكم من الانفعال والاضطهاد. خلال فترة الصحوة الإسلامية، انصرف الكثير من أبناء هذه الأمة المخلصين، إلى العمل الجاد والصادق لإعادة الإسلام إلى مجاري الحياة، بعد أن تمكن المستعمر الكافر من إقصاء الإسلام من حياة هذه الأمة. وكانت هذه الجهود تتجه نحو هدف واحد من أنحاء مختلفة، وبصور كثيرة ومن كل أقطار العالم الإسلامي تقريباً." ([٥١]).

ومضى الشيخ محمد مهدي الآصفي في الدفاع عن الثورة الاسلامية، ورد الشبهات وهذا يكشف بذاته عن مدى حرصه وشعوره العالي بالمسؤولية تجاه قضيته، وقد أعانه على هذه المواجهات سعة اطلاعه على افكار الخصوم ومخططاتهم الرهيبة في محاربة الاسلام العزيز، وانبرى لتثبيت الاحكام الاسلامية التي جاءت بها الى الحكم. فلقد نبّه الى أن بعض المندسّين في صفوف الثورة في أيامها الأولى حاولوا – بجهد وخبث –أن يحرفوا الثورة عن خطها الإسلامي الأصيل ورسالتها، إلى رسالة نفطية، ويجعلوا هذه الانتفاضة والثورة الإسلامية الكبرى امتداداً للحركة التي قادها الدكتور مصدق ١٩٥١–١٩٥٣. ولكن قائد الثورة السيد الخميني (والكلام للآصفي) كان واعياً لهذه المحاولات التحريفية لخط الثورة، ورسالتها فأعلن أن الأمة "إنما ضحت في هذه الثورة بأفلاذ أكبادها، وأعزاءها من أجل الإسلام، وليس من أجل النفط"، وكان الإمام يقول... " إننا دفعنا ثمن هذه الثورة غالياً، فلن نتركها عرضة للأطماع والألعاب السياسية – وحفنة من السياسيين المحترفين في اللعبة الدولية" ([٥٢]).

وأخذ الآصفي يساهم في تأسيس ما يسمى بـ (خط الامام) الذي يعد نهجاً اسلامياً خالصاً في رؤيته لنظام الحكم الاسلامي على وفق ما رآه السيد الخميني، وقال أن انتصارنا نحن في هذه الثورة كان قبل كل شيء ولأول مرة في تأريخنا السياسي المعاصر انتصاراً في ذلك الخط الإسلامي الأصيل على الساحة السياسية والدولية في مواجهة خطين هما : اليمين واليسار، وما بينهما من خطوط، واتجاهات. ويبرز الخط الإسلامي باتجاهه الأصيل المستقيم، في وقت استنفد فيه الخط اليميني، والخط اليساري قدرتهما على البقاء، ولم يعد لهما ذلك البريق الخاطف الذي كان يحيطهما أول الأمر.

وألمح الشيخ محمد مهدي الآصفي الى أن الثورة الايرانية ليست حكراً على أحد، فهي مُلك لكل المحرومين والمستضعفين في العالم، فلقد ساهم كل أولئك، وكل ذلك في صنع هذه الثورة وتفجيرها، وكل أولئك شركاء في هذه الثورة المباركة ومساهمون فيها، ولا بد أن تمتد الثورة

إلى كل العاملين الذين صنعوها وفي كل المنطقة الإسلامية. ولن تستطيع حدود وهمية سياسية أن توقف زحف المد الإسلامي الكبير المنحدر إلى هذه المنطقة المباركة من الأرض([٥٣]).

ومن خصائص خط الإمام بحسب رؤية الآصفي، التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الإسلامي بشكل جاد، والدفاع عن قضاياهم بكل الوسائل الممكنة، لأن مهمة هذه الثورة –حسبما يرى– تحرير الإنسان على وجه الأرض. وحيث يتواجد إنسان مستضعف أو محروم، يعيش تحت أمر الجاهلية واثقالها، فإن على الثورة أن تتولى قضيتها، وأن تجعل هذه القضية في صلب اهتمامها، ولذلك فقد ثمّن الشيخ الآصفي مواقف قائد الثورة الاسلامية الذي أعلن عن دعمه اللامحدود تجاه قضايا المستضعفين والمحرومين، وقضايا العدوان على العالم الإسلامي فتبنى القضية الفلسطينية بحماس منقطع النظير وتبنى القضية العراقية، والقضية الأفغانية، وقضية المجاهدين في مصر.

كانت ابرز آراء وطروحات الشيخ محمد مهدي الآصفي الفكرية في مجال نصرة الجمهورية الاسلامية قد برزت في آثاره وتصديه لشرح فكرة تصدير الثورة، تلك الفكرة التي طالما حازت على اهتمام السيد الخميني، فقد خاض الشيخ محمد مهدي الآصفي مناقشات علمية وموضوعية في هذا الخصوص، وذهب الى أنه كان لا بد للثورة أن تجتاز الحدود الدولية المألوفة، وتتخطى العقبات والحواجز، لتفتح طريقها إلى الأقاليم المتعطشة إلى الثورة من العالم الإسلامي، ولتمارس رسالتها في تحرير الإنسان المسلم وتخليصه. ولذلك فإن تصدير الثورة في نظره يجب أن يكون من أولى اهتمامات وشعارات الثورة، وقد حمله السيد الخميني بنفسه، ونادى به منذ الأيام الأولى للثورة. إن رسالة هذه الثورة رسالة إسلامية وإنسانية عامة، لا تحددها منطقة ولا إقليم، ولا لغة، ولا عرق، ولا طائفة، ولا مذهب. فليست مسألة التصدير، والتوسع للثورة مسألة ترفيّه، وإنما هي من صميم حاجات الثورة وضروراتها، وبدونها لن تحقق الثورة أهدافها ([٥٤]).

ودعا الآصفي المسلمين الى توحيد صفوفهم والسير وراء مرجعية سياسية واحدة تقودهم الى بر الامان هي مرجعية السيد الخميني، فأمة الاسلام أمة فاعلة قوية على وجه الأرض، ولهذه الأمة ثقل كبير في المعادلات السياسية، وحضور واسع في القضايا السياسية ذات الشأن بالحالة الإسلامية خصوصاً، وبالحالة الكونية عموماً. ورأى أنه على الرغم من أن أكثر الأنظمة الحاكمة على العالم الإسلامي تعمل لتشتيت قوى الاسلام، لكن تبقى الأمة الإسلامية التحدي الأكبر للغرب. والذين يقرؤون التأريخ والمستقبل من المنظّرين في الغرب يفهمون هذه الحقيقة، وينذرون أنظمتهم من هذا الإسلام

العظيم الذي بدأ ينهض من سباته في القرن العشرين ([٥٥]).

ونجد الشيخ الآصفي يؤكد على أن هذه الأمة مسؤولة عن الدعوة إلى توحيد الله تعالى في العبودية والطاعة، ومقاومة أئمة الكفر الذي يعملون لصد الناس عن الله وحجب هذه الدعوة عنهم، وهي مسؤولية صعبة وعسيرة تتطلب الجهاد، كما هي مسؤولة عن إقامة المعروف على وجه الأرض والدعوة إليه، وإنكار المنكر واستئصاله. فلا تحقق الدعوة أهدافها من وجهة نظره دون أن تبلغ قلوب الناس وأفئدتهم، ولا تستطيع الدعوة أن تصل إلى الناس دون أن تخترق الحواجز التي يقيمها أئمة الكفر، وما أسماها بـ(مناطق نفوذ الجاهلية)، ولا يمكن اجتياز سلطانها ومناطقها دون القضاء عليهم. ولا يمكن فصل هذه الحقائق بعضها عن بعض. لأن ذلك هو مصداق لقوله تعالى : " {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة : ١٩٣] أي فإذا أردتم أن لا تكون فتنة، ولا يفتتن الناس في دينهم وأن يكون الدين على وجه الأرض لله.. فلا بد من قتال أئمة الكفر وجنودهم، ولا بد من إخراجهم ونفيهم، وتطهير الأرض منهم، كما أخرجوكم من قبل من أرضكم وديياركم وبيوتكم، واعتدوا عليكم وقاتلوكم ([٥٦]).

وعلى صعيد آخر تشابه موقف الشيخ محمد مهدي الآصفي مع موقف السيد الخميني فيما يخص محاربتهما بشدة للانتماءات الاقليمية والقومية، فقد اعتبرها الأول نعرات عنصرية وتوجهات عصبية لا تتفق وروح الاسلام الحنيف، بل أسماها بـ (الولاء للباطل) الذي يأتي بديلا عن الولاء للحق، المتجسد في الحب في الله والبغض في الله والسلم في الله والحرب في الله، وفي مقابل ذلك، الولاء الباطل، الذي يلغيه الإسلام إلغاءً كاملاً، لأنه انتحل محاور أخرى غير صحيحة للحب والبغض والسلم والحرب، ومن ذلك الولاء للقومية والوطنية، وهو من الولاء الباطل الذي ألغاه الإسلام إذا كانت (القومية) و(الوطنية) تعد محوراً منفصلاً عن محور الولاء لله ولرسول الله. فلا يجوز للإنسان أن يمتد مع حبه لقومه ووطنه في كل مستلزمات هذا الحب وتوابعه ولا يسمح للإنسان أن يحب أعداء الله ورسوله من قومه ووطنه، كما لا يجوز أن يبغض المؤمنين من غير قومه ووطنه. وقد نبه الآصفي أنه على هذا الأساس تقوم الاتجاهات القومية الحديثة في العالم الإسلامي على إحياء الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والمجوسية لربط حاضر المسلمين بماضيهم عبر الإسلام وتاريخه العظيم طاب هذا الماضي أم كان خبيثاً. فالقومية والوطنية – إذن – في مفهومها المعاصر اتجاه لإقامة محاور جديدة للولاء في مقابل الولاء لله ولرسوله ([٥٧]).

كما كان للكتب العقائدية والتاريخية التي سطرها الآصفي بقلمه أثرٌ كبيرٌ في إعانة أبناء الثورة

الاسلامية على معالجة مختلف جوانب الإشكاليات الواردة عليهم، لاسيما تلك التي تخصصت في المواضيع التي تصدى لها الخميني، سواء أكانت عقائدية أم تاريخية أم فكرية. ومنها مسألة (ولاية الفقيه) التي عالجها الشيخ الآصفي واعتبر فيها الخميني نائباً ووكيلاً عن الإمام المهدي المنتظر (ع)، ومرشداً أعلى لكل الحركات الإسلامية، وذلك في كتابه (علاقة الحركة الإسلامية بولي الأمر) ([٥٨])، وكتابه الموسوم : (نظرية الإمام الخميني في دور الزمان والمكان في الإجتهاد)، إذ بحث العلاقة بين ضرورة الانقياد للولي الفقيه من جهة، وطاعته طاعةً شرعية فى كل شيء وحرمة مخالفته من جهةٍ أخرى.

ونجد في كتاب (التقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته) لمؤلفه العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي تعريفاً للقارئ بتلك المهام التي نهض بها علماء الأمة ومراجعها، كما تحدث عن قضايا وموضوعات علمية تشكل الإجابة عليها توضيحاً بهذا الموضوع الخطير، وقدم حلاً لإشكالية فكرية مُثارة أمام الفكر الإسلامي، تتمثل في التشكيك بقدرة الشريعة الإسلامية على حل ومعالجة مشاكل الإنسان المعاصرة من خلال الحديث عن الاجتهاد واتجاهاته ودوره في ذلك ([٥٩]).

بعد ذلك حاول الإجابة على إشكالية علمية أخرى مثارة للحوار العلمي بين الفقهاء وعلماء الشريعة، وتتلخص في بيان صلاحيات الفقيه في الشريعة الإسلامية التي بحثها الفقهاء تحت عناوين ثلاث هي: الإفتاء، القضاء، الولاية. ولما كان الفقهاء متفقين على أهلية الفقيه وحده للإفتاء والقضاء تركز بحث الكاتب ومناقشته في إثبات الولاية للفقيه العادل الكفوء، وفق منهج البحث الفقهي المألوف لدى الفقهاء، ليرد على الاتجاه الذي لا يثبت الولاية لذلك الفقيه.

ويذكر الآصفي أنه كتب هذا البحث قبل قيام الدولة الإسلامية بقيادة السيد الخميني بزمن طويل، وعلى وجه التحديد في سنة ١٩٧١، وبقيت مسودّات الكتاب خلال هذه المدة محفوظة في أوراقه الخاصة وانتقلت معه من العراق إلى إيران، ومن إيران إلى الكويت، ومن الكويت إلى إيران مرة أخرى. وبعد اتصاله الوثيق بالسيد الخميني لفتت نظره هذه المسودات، فقرأ شطراً منها قراءة سريعة، فوجد أن الآراء التي طرحها في ذلك التأريخ عن الاجتهاد والتقليد، وعلاقة الأمة بالفقهاء، وأمر ولاية الفقيه، لم تتغير برغم التغييرات السياسية الكبيرة التي طرأت على ساحتنا الإسلامية، وهي متقاربة مع آراء قائد الثورة ([٦٠]).

وقد بحث بالتفصيل رأي السيد الخميني في أمر ولاية الفقيه، واختلاف الفقهاء إلى طائفتين اثنتين: طائفة ترى شمول الولاية وعموميتها، وأن الفقيه في عصر الغيبة يتولى ما يتولاه الإمام في عصر الحضور من أمور المسلمين، ويكون

أولى بالمسلمين من أنفسهم في كل مجال يتولاه الإمام، وهذه هي (الولاية العامة). وأما القسم الآخر فيرى أن يكون وجوب الولاية ومشروعيتها موقوفاً على حضور الإمام الغائب المنتظر(ع)، وانما تقتصر الصلاحيات على الامور الحسبية فقط لا غير ([٦١]).

الهوامش والتعليقات

١) صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة، الجزء٢، رقم، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ٢٠٠٤ م، ص٣٣٥؛ محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف، (بيروت، دار الثقلين، ١٩٩٩م)، الجزء ٢، ص٥٧١.

٢) للاطلاع على تراجم لهؤلاء العلماء الأعلام أنظر : جودت القزويني، تأريخ القزويني في تراجم المنسيين والمحرومين من أعلام العراق وغيرهم ١٩٠٠-٢٠٠٠، بيروت، الخزائن لإحياء التراث، ٢٠١٢م، ص٢٩٥ وما بعدها ؛ محمد أمين نجف، علماء في رضوان الله نبذة مختصرة لحياة ٢٠٠ عالماً، (مطبعة بهمن، انتشارات الامام الحسين، ٢٠٠٩)

٣) ولد روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني عام ١٩٠٢م في قرية خمين بالقرب من العاصمة الإيرانية طهران، ودرس الفقه في المدارس الدينية المعروفة، ومع تقدمه علمياً واجتماعياً عارض حكم الشاه، وشجّع الناس على التمرّد، ومجابهة النظام ابتداء من عام ١٩٦٣م، اعتقل وسجن فيما بعد، أطلق سراحه تحت ضغط الاحتجاجات الشعبية والدينية، واعتقل ثانيةً ونفى إلى تركيا في عام ١٩٦٤م ومنها إلى العراق، وأخيراً توجّه إلى فرنسا، توج نشاطه في ثورة إيران ١٩٧٨- ١٩٧٩م، وقاد إيران حتى وفاته عام ١٩٨٩م. ينظر: محمد وصفي ابو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، (البصرة : مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٣)، ص ٥٨ – ٦٠.

٤) حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، (بيروت، موسوعة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٧م)، ص٢٢٠.

٥) صائب عبد الحميد، المصدر السابق، ص٣٣٦.

٦) رحيم عبد الحسين عباس العامري، اثر المجددين في الحياة السياسية والثقافية في النجف ١٩٤٥-١٩٦٣، أطروحة دكتوراه، كلية التربية –الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ص ٨٣-٨٥.

٧) علي المؤمن، سنوات الجمر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧ -١٩٨٦م، ط٣ (بيروت، المركز الإسلامي المعاصر، ٢٠٠٤م)، ص ٥١٨.

٨) رحيم عبد الحسين عباس العامري، المصدر السابق، ص١٤٩.

٩) alshirazi.com

١٠) علي المؤمن، المصدر السابق، ص٣٣٦؛ حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، التحرك الإسلامي ١٩٠٠-١٩٥٧، (بيروت، دار المنتدى للنشر، ١٩٩٠)، الجزء ٢، ص٢٧٩.

١١) علي المؤمن، المصدر السابق، ص٥١٨. وللاطلاع على أسماء التشكيل المذكور ينظر: صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق فصول من تجربة الحركة الاسلامية في العراق خلال ٤٠ عاماً، مؤسسة البحوث والدراسات الستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩، ص١٢٥-١٢٦، ص١٣٢.

١٢) www.elaph.com//http؛

١٣) حسن لطيف كاظم الزبيدي، المصدر السابق، ص٢٢٠.

١٤) محمد الغروي، المصدر السابق، ص٥٧٢؛ صائب عبد الحميد، المصدر السابق، ص٣٣٥.

١٥) آمنة جبار عبد زيد الكلابي، السيد محمد بحر العلوم وأثره في تاريخ العراق المعاصر دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٧، ص ١١٢.

١٦) علي المؤمن، المصدر السابق، ص٥١٨.

١٧) محمد الغروي، المصدر السابق، ص٥٧١-١٧٢؛ حسن لطيف كاظم الزبيدي، المصدر السابق، ص٢٢٠؛ علي المؤمن، المصدر السابق، ص٥١٨.

١٨) عامر صالح علي سعد العكيلي، الشيخ محمد مهدي الآصفي ودوره الفكري والسياسي في العراق (١٩٣٧ – ٢٠١٥)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الانسانية، ٢٠١٦، ص ١٩٤.

١٩) شبكة المعلومات الدولية الانترنت
www.elaph.com//http

٢٠) شبكة المعلومات الدولية الانترنت
www.alrashead.net//http

٢١) صائب عبد الحميد، المصدر السابق، الجزء٢، ص ٣٣٧.

٢٢) كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، بيروت، مؤسسة المواهب، ١٩٩٩، ص ٦١٦.

٢٣) نعيم جاسم محمد، إيران في عهد حكومة أمير عباس هويدا ١٩٦٥–١٩٧٧ دراسة في التطورات السياسية الداخلية، (بيروت، دار العلوم العربية، ٢٠١٦)، ص ١٠٢.

٢٤) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (بيروت، العارف للمطبوعات، ٢٠٠٧)، الجزء ٢، ص ٣٥، ٤١.

٢٥) عامر صالح علي سعد العكيلي، المصدر السابق، ص ١٧٢.

٢٦) مقدام عبد الحسن الفياض، المرجعية الدينية العليا وموقفها من أبرز لتطورات السياسية الوطنية والعربية ١٩٢١ – ٢٠٠، الفصل الثاني من الجزء٣ لموسوعة فتوى الدفاع الكفائي، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء ١٤٤٢هـ، ص ٢٥٧.

٢٧) أحمد رضا، السيد الخميني، ذاكرة النجف الأشرف، النجف، ٢٠١٢، ص ص ٢٣–٢٤.

٢٨) عامر صالح علي سعد العكيلي، المصدر السابق، ص ٩٠.

٢٩) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، المصدر السابق، الجزء٢، ص ٢٦٣.

٣٠) محمد بن محمد صادق الصدر، مرجعٌ مجاهد، ولد في النجف الأشرف عام ١٩٤٣، درس عند أبرز علمائها، عُرف بذكائه الحاد وفكره الوقّاد وتضلعه في الفقه، قاد حركة جماهيرية دينية في العراق في عقد التسعينات، أُستشهد عام ١٩٩٩. من مؤلفاته : موسوعة الامام المهدي، أشعة من عقائد الاسلام، ما وراء الفقه، وغيرها الكثير. للاطلاع على جهاده وحركته ينظر: عبد اللطيف الحرز، محمد الصدر كفاح الجماهير، (بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٩).

٣١) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق...، ص ٤٨–١٠٠.

٣٢) أحمد رضا، المصدر السابق، ص ٢٥.

٣٣) صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، (بغداد، مطبعة الوسام، ٢٠٠٤)، ص ص ٥٢١–٥٢٢.

٣٤) آمنة بنت حيدر الصدر: من مواليد مدينة الكاظمية ١٩٣٧، هاجرت مع أسرتها الى النجف الأشرف عام ١٩٤٥، وبدأت بكتابة المقالات الاجتماعية والعقائدية في مجلة الأضواء النجفية بدءاً منذ عام ١٩٦٦، كان لها أثر كبير في دعم حركة شقيقها السيد الصدر في مواجهة النظام الحاكم في العراق، أُعتقلت وأعدمتها السلطة معه ولم يُسلم جثمانها. للتفاصيل ينظر: صائب عبد الحميد، الشهيد محمد باقر الصدر، (بيروت مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠٠٨)، ص ٣١.

٣٥) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة...، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٢٧٩.

٣٦) عماد مكلف عسل البدران، موقف حزب الدعوة الاسلامية من حركة الإمام الخميني السياسية وثورته ١٩٦٣-١٩٧٩، مجلة دراسات تاريخية، العدد٩، ايلول ٢٠١٠، ص ١٥٨.

٣٧) نبيل الحيدري، حزب الدعوة وولاية الفقيه الإيرانية الآصفى، جريدة إيلاف الإلكترونية، ١٧ كانون الثاني، ٢٠١٥، شبكة المعلومات الدولية:
https://elaph.com/Web/opinion/2015/1/974057.html

٣٨) علي المؤمن، المصدر السابق، ص٥١٨.

٣٩) عامر صالح علي سعد العكيلي، المصدر السابق، ص ٢١٥.

٤٠) شبكة المعلومات الدولية : www.elaph.com//http

٤١) عامر صالح علي سعد العكيلي، المصدر السابق، ص ٢١٧، ٢١٩.

٤٢) محمد مهدي الآصفي، دروس من الثورة الاسلامية، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٢١ هـ، ص ٤.

٤٣) المصدر نفسه، ص ٥.

٤٤) المصدر نفسه، ص ٧.

٤٥) محمد مهدي الآصفي، خط الإمام : سلسلة رقم ٣، بيروت، دار التعارف، (د: "ت")، ص ٧.

٤٦) جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، خط الإمام الخميني قدس سره، مركز نون للتأليف والترجمة، شبكة المعارف الإسلامية، ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ، ص ١٣.

٤٧) محمد مهدي الآصفي، الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، دار التعارف، بيروت، لا"ت"، ص ٨.

٤٨) المصدر نفسه، ص ٩-١٠.

٤٩) المصدر نفسه، ص، ١٤.

٥٠) محمد مهدي الآصفي، الولاء والبراءة، ص ١٤١-١٤٢.

٥١) محمد مهدي الآصفي، دروس من الثورة الاسلامية، ص ٩٦-٩٧.

٥٢) المصدر نفسه، ص ١١٢.

٥٣) محمد مهدي الآصفي، الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة...، ص ١٤.

٥٤) محمد مهدي الآصفي، دروس من الثورة الاسلامية، ص ١٣٦-١٣٨، ١٤٦.

٥٥) محمد مهدي الآصفي، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية، ٢٠١٣، ص٩٨.

٥٦) للتفاصيل حول هذا الموضوع، ينظر : محمد مهدي الآصفي، الولاء والبراءة ولاية الله، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، ١٩٩٧، ص ١٨-٢٠.

٥٧) المصدر نفسه، ص ١٣٨-١٤٠.

٥٨) محمد مهدي الآصفي، علاقة الحركة الإسلامية بولي الأمر، ص ٢٢.

٥٩) محمد مهدي الآصفي، الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، ١٩٩٦، ص ٨.

٦٠) المصدر نفسه، ص ١٠-١١.

٦١) المصدر نفسه، ص ١٩٧-٢٠٢.

قائمة المصادر

- أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (بيروت، العارف للمطبوعات، ٢٠٠٧)، الجزء ٢.
- آمنة جبار عبد زيد الكلابي، السيد محمد بحر العلوم وأثره في تاريخ العراق المعاصر دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٧.
- جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، خط الإمام الخميني قدس سره، مركز نون للتأليف والترجمة، شبكة المعارف الإسلامية، ٢٠١٦م- ١٤٣٧هـ.
- جودت القزويني، تأريخ القزويني في تراجم المنسيين والمحرومين من أعلام العراق وغيرهم ١٩٠٠-٢٠٠٠، بيروت، الخزائن لإحياء التراث، ٢٠١٢م.
- حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر، التحرك الإسلامي ١٩٠٠-١٩٥٧، (بيروت، دار المنتدى للنشر، ١٩٩٠)، الجزء ٢.
- حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، (بيروت، موسوعة العارف للمطبوعات، ٢٠٠٧م.
- رحيم عبد الحسين عباس العامري، اثر المجددين في الحياة السياسية والثقافية في النجف ١٩٤٥-١٩٦٣، أطروحة دكتوراه، كلية التربية -الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦.
- صائب عبد الحميد، الشهيد محمد باقر الصدر، (بيروت مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ٢٠٠٨.
- صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة، الجزء٢، رقم، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، ٢٠٠٤ م.
- صلاح الخرسان، الامام السيد محمد باقر الصدر في ذاكرة العراق، (بغداد، مطبعة الوسام، ٢٠٠٤.
- صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية حقائق ووثائق فصول من تجربة الحركة الاسلامية في العراق خلال ٤٠ عاماً، مؤسسة البحوث والدراسات الستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩.
- عامر صالح علي سعد العكيلي، الشيخ محمد مهدي الآصفي ودوره الفكري والسياسي في العراق (١٩٣٧ – ٢٠١٥)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الانسانية، ٢٠١٦.
- علي المؤمن، سنوات الجمر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ١٩٥٧ -١٩٨٦م، ط٣ (بيروت، المركز الإسلامي المعاصر، ٢٠٠٤م).
- عماد مكلف عسل البدران، موقف حزب الدعوة الاسلامية من حركة الإمام الخميني السياسية وثورته ١٩٦٣-١٩٧٩، مجلة دراسات تاريخية، العدد٩، ايلول ٢٠١٠.
- كاظم عبود الفتلاوي، المنتخب من أعلام الفكر والأدب، بيروت، مؤسسة المواهب، ١٩٩٩.
- محمد الغروي، مع علماء النجف الأشرف، (بيروت، دار الثقلين، ١٩٩٩م)، الجزء ٢.
- محمد أمين نجف، علماء في رضوان الله نبذة مختصرة لحياة ٢٠٠ عالماً، (مطبعة بهمن، انتشارات الامام الحسين، ٢٠٠٩.
- محمد مهدي الآصفي، الاجتهاد والتقليد وسلطات الفقيه وصلاحياته، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، ١٩٩٦.
- محمد مهدي الآصفي، الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، دار التعارف، بيروت، لا"ت".
- محمد مهدي الآصفي، الامة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية، ٢٠١٣.

- محمد مهدي الآصفي، الولاء والبراءة ولاية الله، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، ١٩٩٧، ص ١٨-٢٠.
- محمد مهدي الآصفي، خط الإمام : سلسلة رقم ٣، بيروت، دار التعارف، (د: "ت").
- محمد مهدي الآصفي، دروس من الثورة الاسلامية، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٢١ هـ،
- محمد وصفي ابو مغلي، دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، (البصرة : مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٣.
- مقدام عبد الحسن الفياض، المرجعية الدينية العليا وموقفها من أبرز لتطورات السياسية الوطنية والعربية ١٩٢١ – ٢٠٠، الفصل الثاني من الجزء٣ لموسوعة فتوى الدفاع الكفائي، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء ١٤٤٢هـ.
- نعيم جاسم محمد، إيران في عهد حكومة أمير عباس هويدا ١٩٦٥-١٩٧٧ دراسة في التطورات السياسية الداخلية، (بيروت، دار العلوم العربية، ٢٠١٦).
- **<u>مواقع على شبكة المعلومات الدولية:</u>**

نبيل الحيدري، حزب الدعوة وولاية الفقيه الإيرانية الآصفى، جريدة إيلاف الإلكترونية، ١٧ كانون الثاني، ٢٠١٥.

www.elaph.com//http

https://elaph.com/Web/opinion/2015/1/974057.html
www.alrashead.net//http